

الفصل الرابع

الفلسفة البراجماتية وانعكاساتها التربوية

مقدمة :

تعد الفلسفة البراجماتية الركيزة الاساسية لمعظم الدراسات التربوية المعاصرة في العالم بأسره. والبراجماتية مشتقة من الكلمة اليونانية pragma بمعنى الشئ الذي فعل أو عمل ، فهي من حيث الاستشفاق اللغوي تشير إلى الفعل أو التطبيق ، أما من جهة الاصطلاح فهي تعني أن قيمة الفكرة إنما تكون بصلاحياتها للتحويل إلى عمل منتج أو نافع للفرد والمجتمع ، بمعنى أن الفكرة تعد صواباً إذا كانت النتائج المترتبة عليها نافعة ومفيدة للإنسان ، وإلا كانت باطلة ولا قيمة لها ، وأن معيار الصواب والخطأ يكمن فيما يسميه "وليم جيمس" بالقيمة المنصرف cash value .

والفلسفة البراجماتية لا وجود فيها لمبادئ مطلقة أو ثابتة أو موجودة قبل أن يوجد الانسان ، أو هي صالحة لكل زمان ومكان ، فما اثبتت التجارب نفعه للإنسان هو ما يتم اعتماده ما بقي نافعاً ، فإذا زالت عنه المنفعة زال معها قيمة الشئ .

❖ سمات العالم في الفكر البراجماتي

(أ) أنه نسبي غير ثابت ، فالحقيقة الاساسية عند البراجماتي هي حقيقة التغير .

(ب) انه عالم غير آمن ، وعلي الانسان أن يكون مستعداً للتعامل مع أي احتمال .

(ج) انه عالم في طور التكوين ، أي لم يكتمل بعد وقابل للتعديل والتحسين .

❖ الفارق المهم بين الفلسفة الواقعية والبراجماتية .

الواقعية تهدف إلى مجرد التكيف مع الطبيعة ، بينما البراجماتية – لإيمانها بالتغير وقابلية العالم للتعديل والتحسين – تسعى إلى تغيير الواقع ومن أمثلة ذلك توجيه البحث العلمي نحو مجالات منها

(أ) الهندسة الوراثية . (ب) الاستنساخ .

(ج) استخدام الهرمونات في شتي وسائل الانتاج الزراعي والحيواني .

(د) استنزاف موارد البيئة .

(هـ) الشذوذ والخروج عن المألوف في شتي انماط الحياة .

أولاً أهم مباحث الفلسفة البراجماتية :

أ (الطبيعة البشرية :

أكد البراجماتيون على :-

1- الانسان كل متكامل لا فرق بين الجسم والروح ، وأنه كائن بيولوجي اجتماعي يتعامل بوعي مع المؤثرات البيولوجية والاجتماعية ، أي انه قابل للتعليم واكتساب الخبرة .

2- العقل وظيفة وليس أي شئ آخر ، فالعقل افتراض نظري والذكاء هو الجانب العملي منه ، لذا يستبدلون كلمة عقل بكلمة ذكاء ، وأن العقل (الذكاء) متغير وأنه مكتسب عن طريق الخبرات الحياتية وليس فطرياً لدى الإنسان .

3- الإنسان هو ابن ثقافته وصانعه في آن واحد ، فهو على اتصال دائم بعالم الطبيعة والمجتمع من حوله ، وأن هذا لاتصال يقوم على التأثير والتأثر بين الفرد والبيئة ، لذا فهو قادر على إيجاد بيئة أفضل يعيش فيها .

4- الطبيعة البشرية طبيعة مرنة ومحايذة بين الخير والشر والذي يحدد مسارها هو الجهد التربوي ، وتتأثر الطبيعة البشرية بالخبرة و الامكانيات الموروثة والوسط الاجتماعي .

ب (المعرفة :

يرى البراجماتيون أن المعرفة تتسم بالآتي :-

- 1- المعرفة ليست أولية بمعنى أنها غير سابقة على التجربة ، بل هي تابعة لها ، وناشئة عن مشاركة الذكاء وتفاعله مع مجريات الحياة من خلال مواقف الخبرة .
- 2- للمعرفة دور ايجابي في تشكيل ما يحيط بالانسان وإعادة تشكيله .
- 3- الحقيقة أمر نسبي لأن الوجود من حولنا متغير ، والبراجماتي لا يعنيه إذا كان الشئ حقيقي أو غير حقيقي بقدر ما يعنيه أن يكون الشئ عملياً بمعنى أن له تطبيقات نافعة للفرد والبيئة التي يعمل بها الإنسان.
- 4- البرجماتي لا يسلم بمعرفة تم التوصل لها من قبل ، بل لا بد أن تصمد هذه المعرفة أمام الاختبار و التجريب .
- 5- نظراً لكون المعرفة دائمة التغير والتشكل ، كانت المعرفة أقل أهمية من التفكير الذي تنبثق عنه .
- 6- الأفكار تمثل الأدوات أو الآلات التي يستخدمها الانسان ليكون علاقة فاعلة مع بيئته لذا تسمى البراجماتية بالفلسفة الاداتية أو الذرائعية .
- 7- الأفكار تنشأ من خلال العمل ومن ثم تحدث عملية النمو وتتم عملية التعليم من خلال الخبرة .
- 8- خطوات الوصول للمعرفة تتلخص في احساس الفرد بالمشكلة ، وتحديد لها ، ثم فرض الفروض (حلول مقترحة) في ضوء ما يتسنى من معلومات ، ثم اختبار صحة الفروض ، وأخيراً تقويم النتائج وتعميمها .
- 9- معيار صدق المعرفة يكمن في آثارها العملية وما تجره من نفع .

ج (القيم :-

يمكن فهم وجهة النظر البراجماتية عن القيم من خلال الآتى :-

- 1- القيم تتحدد بواسطة عملية اختيارية شعورية ، بمعنى أن الإنسان هو الخالق النهائي للقيم في العالم.
- 2- تنشأ القيم من خلال تفاعل الفرد مع مجتمعه أي أنها تتكون من خلال الخبرة والممارسة ، وتتطور بنفس طريقة خلق المعرفة ، أي عن طريق إعادة بناء الخبرة ، وينشأ عن ذلك أخلاق خاصة بالموقف .
- 3- القيم غير مفروضة من جهة عليا وهي ليست ثابتة ، ولا يتساءل البراجماتي عن أصل القيم بل عن جدواها .
- 4- تحديد القيم ليس مسألة شخصية صرفة لا تخضع لمعايير سوى ذاتية الفرد ، فالبراجماتيون يدخلون عنصراً من الموضوعية في تفكيرهم عند تحديد القيم يتمثل في البرهان العلمي لما هو ملائم ونفعي ويؤدي إلى نمو المجتمع وتطوره ، وذلك بطرق مقننة تقنع أكبر عدد ممكن بجدوى سلوك أو نشاط معين .
- 5- لا بد من أن تتوافق القيم مع مبادئ الديمقراطية وحماية الحقوق الاجتماعية والمدنية والفردية لجميع المواطنين ، وتحقيق التوافق بين ما هو صالح للفرد والمجتمع على السواء .
- 6- لا مجال للنية أو القصد في الحكم القيمي على الأفعال عند البراجماتي .

ثانياً التطبيقات التربوية :

أ (الأهداف التربوية :

- لا يوجد هدف ثابت للتربية ، فالأهداف متغيرة بتغير الحياة وما يستجد من أحوال في المجتمع ، ولكن توجد منطلقات أساسية لهذه الأهداف منها :
- 1- مساعدة التلميذ ليصبح ذا قيمة اجتماعية في الحاضر والمستقبل ، فالتربية هي الحياة وليست مجرد إعداد للحياة .
 - 2- تعليم المهارة المستمرة وهي مهارة كيف نتعلم ، وكيف نفكر.
 - 3- التعليم عملية نمو مطردة ، بمعنى نمو يؤدي إلى مزيد من النمو ، وخبرة تمهد لخبرة تالية .
 - 4- أن يتعلم التلميذ احترام الديمقراطية والممارسات السياسية والاجتماعية .
 - 5- أن تساعد المدرسة التلاميذ في حل مشكلاتهم وفهم أنفسهم وبيئتهم، فالمدرسة صورة مصغرة من المجتمع .
 - 6- الأهداف العامة للمناهج ومراحل التعليم توضع من قبل الكبار ، والأهداف المتوسطة والقريبة يشترك الطلاب مع مدرسيهم في تحديدها .

ب) المقررات الدراسية :

- 1- يؤكد البراجماتيون على التعليم الواسع بدلاً من التخصص في مرحلة الطفولة ، لذلك يحبذون منهج النشاط لاحتوائه على مشكلات حقيقية تستثير اهتمامات الأطفال وتتلافى تقسيم المعرفة إلى عناصر منفصلة ، حتى لا يقع التلميذ في خطر ضياع المنظور ، وأيضاً حتى يدرك التلميذ الآثار المترتبة على عمله .
- 2- يرى البراجماتيون تأخير تعامل التلاميذ مع المواد الدراسية المنفصلة والمنظمة تنظيمياً منطقياً إلى ما بعد المرحلة الأولى .
- 3- يضع البراجماتيون موصفات لقبول مقرر ما منها .
 - أن يعمل المقرر على تدريب التلاميذ على طريقة حل المشكلات .
 - ضرورة أن يكون المقرر عملياً .
 - لابد أن يكون المقرر نافعاً .
 - أن يراعي المقرر المستوى العقلي للتلميذ .
 - أن يكون المقرر مرغوباً فيه من التلاميذ ويلبي احتياجاتهم ويستثير اهتمامهم .
 - أن يساعد المقرر التلاميذ على فهم حاضرمهم ويهيئهم للمستقبل .
 - أن يعمل المقرر على تحسين أحوال المجتمع .

جـ) اساليب التدريس وتكنولوجيا التعليم :

- 1- التركيز على تكامل الخبرة التعليمية ، فلا بد أن يتفاعل التلميذ مع الموقف التعليمي من خلال انفعالاته ودوافعه وعاداته واستجاباته الجسمية والعقلية من خلال موقف خبرة حقيقي .
- 2- الاهتمام بطريقة التعليم أكثر من الاهتمام بما يتعلمه التلميذ ، فإذا عرف التلميذ كيفية حل المشكلات يكون قد حقق كل ما ترجوه المدرسة منه .
- 3- يعتمد التدريس على نشاط التلميذ الذي يهيئ له المعلم ، لأن الأفكار تنشأ من خلال العمل ، أي اعتماد مبدأ التعلم بالعمل من خلال حل المشكلات والمشاركة النشيطة والمناقشة ، والعمل الجمعي ، وفي التعليم بالعمل يتم التركيز على الطريقة التجريبية والتي لا تعترف بنتائج مسبقة على أنها ثابتة ومطلقة .
- 4- تنوع طرق التدريس لجعل الطلاب يستثمرون كل طاقاتهم في التعلم لتحقيق أكبر قدر من النتائج .
- 5- يعول البراجماتيون كثيراً على تكنولوجيا التعليم لأنها تساعد على اتقان حل المشكلات ، كما أنها توفر النفقات والوقت والجهد .

د - الأبنية المدرسية والمناخ المدرسي :

تصمم المدرسة البراجماتية بصورة أكثر مرونة من أبنية المثاليين والواقعيين ، فهي أمكنة تستعمل لأغراض متعددة وأنشطة متنوعة وجماعات مختلفة الأحجام ، لذلك يوجد فيها جدران متحركة وأجهزة أيضاً متحركة وأفنية مرصوفة وأماكن للترويح ، ويفضل البراجماتيون مناخاً مدرسياً مليئاً بالحركة والنشاط والعلاقات الاجتماعية والمرونة ، وصفوف الدراسة تحتوي على حركة أكثر وصخب أكثر مما هو في الفصل المثالي والواقعي ، إلا أن هذه الحركة وذلك الصخب يجب أن يكون نافعاً وموجهاً بالانضباط الذاتي .

هـ) سمات المعلم :

- 1- يشارك المعلم البراجماتي في الموقف التعليمي حيث يبدو مع تلاميذه كواحد منهم إلا أنه ذو خبرة ، ويقوم من خلال الإثارة والتأثير بتسهيل عملية التعليم .
 - 2- يحترم المعلم حقوق تلاميذه ويقدر الممارسات الديمقراطية .
 - 3- يساند المعلم القوانين المدرسية ويحترمها ولا يقتصر دوره على تعليم طلابه لهذه القوانين ، بل يعلمهم كيفية صنع هذه القوانين ودور التلاميذ في صناعتها .
 - 4- يجيد المعلم أسلوب حل المشكلات وانتقاء الأساليب العلمية المناسبة لهذه المشكلات .
 - 5- عند حدوث مشكلة داخل الفصل مع أحد التلاميذ فعلى المعلم أن يحاول حلها بعيداً عن إدارة المدرسة من خلال آليات متفق عليها مثل :
 - إحالة التلميذ المخالف إلى مجلس التلاميذ .
 - مقابلة التلميذ على أفراد ومحاولة فهم ظروفه وإرشاده .
 - إثابة التلاميذ ذوي السلوك الحسن بصفة دائمة .
 - في الحالات المستعصية يلجأ المعلم إلى مقابلة ولي الأمر التلميذ المخالف للتشاور معه .
- ## و) الدور المفضل للطالب :

- 1- يرى البراجماتيون أن النظام يجب أن ينبع من الطالب نفسه ، من خلال شعوره بالمسئولية الملقاه عليه ، ومن خلال شعوره ومشاركته في التعاون داخل المدرسة ، وأيضاً من خلال شعوره بأهمية النظام الذي شارك هو في صياغته .
- 2- تعمل البراجماتية على جعل الطالب يجرب الأفكار الجديدة بنفسه ويعيش موقف الخبرة .
- 3- تعمل البراجماتية على إكساب التلاميذ القدرة على المبادرة واقتراح الحلول السليمة للمشكلات ، والبحث بشغف عن التحديات والفرص الجديدة ، كل ذلك في ضوء احترام حقوق الآخرين .
- 4 - يرى البراجماتيون ضرورة تعليم الطالب كيفية اتخاذ القرارات الخلقية لا بالرجوع إلى مبادئ مقررة مسبقاً وموصوفة بدقة ، بل بإعمال الذكاء الذي يقوده إلى أفضل

النتائج في العلاقات الإنسانية ، وأن يدرك الطالب أن القيم لا تفرض من سلطة أعلى بل يجب الاتفاق بخصوصها إذا امكن من خلال مناقشات مفتوحة ومتفتحة .

5 - يجب على الطالب أن يمارس القيم أكثر من التحدث عنها ، وأن يمارس القيم من خلال العمل ومواقف الخبرة ، وأن يدرك أن القيم محكومة بالمصلحة أي ما يترتب عليها من نفع .

ز (التقويم :

لا يهتم البراجماتيون بقياس قدرة الطالب على تذكر الحقائق والمعلومات مثل اهتمامهم بقياس مدى قدرة الطالب على توظيف تلك المعلومات في حل المشكلات ، كما أن الامتحانات غير رسمية وآنية وتتمثل في التطبيق العملي لخبرات الطالب في مواقف جديدة .

د- نقد تربوي للفلسفة البرجماتية :

أولاً إيجابيات هذه الفلسفة ويمكن إيجازها فيما يلي :

- 1 - اتخذت من العمل طريقة أساسية للتربية ، وقد لقي هذا المبدأ قبولاً عالمياً .
- 2 - أنها فلسفة وظيفية ، بمعنى أنها توظف المعرفة لتحقيق النفع للفرد والمجتمع .
- 3 - اعتمدت الديمقراطية كهدف تعليمي وأيضاً كأسلوب للتعليم مما وفر مناخاً من الحرية في العملية التعليمية وزاد من فاعليتها .
- 4- أنها تقدر الذكاء الإنساني وتحرص على تنمية قدرة الانسان علي التفكير لحل ما يقابله من مشكلات .

5- أنها حققت الكفاءة الداخلية والخارجية للنظام التعليمي .

ثانياً بعض الانتقادات التربوية على الفلسفة البرجماتية :

- 1- في اعتماد البراجماتيون النفع كمقياس لمدى صدق المعرفة إحياء للنزعة السفوسطائية التي كانت تجعل من النفع مقياساً للحقيقة .
- 2- تؤمن الفلسفة البرجماتية بأن التغير ينسحب على القيم والمبادئ ، لذا فهي لا تحترم منها إلا ما يحقق نفعاً مباشراً .
- 3- تحيد البراجماتية الدين ولا تجعل له مكاناً على الخريطة المدرسية باعتباره خارج نطاق الخبرة البشرية .
- 4- تعمل هذه الفلسفة على دعم مبدأ الغاية تبرر الوسيلة .
- 5- المنهج التربوي الذي دعت إليه الفلسفة البرجماتية يصلح لتلاميذ المرحلة الابتدائية فقط .
- 6- تربى الفلسفة البرجماتية الانسان على الشك في كل شئ ، وان كل شئ قابل للتفاوض حوله ما دام يجر نفعاً .

٧- حادت هذه الفلسفة عن المنهج العلمي في إهمالها للنوايا والمقاصد بقصرها الحكم على الآراء والأفعال من خلال نتائجها فقط ، لأنها أهملت ما يتمتع به الإنسان من قدرة على التحديد القبلي لآراءه وأفعاله وتصوره لنتائج أفعاله ، حيث يعد جهد المجرّب - من خلال الفكر البراجماتي - الذي لم تنجح تجربته جهداً لا قيمة له على الرغم من احتياطه وتوفير عوامل النجاح لتجربته ، وعلى الرغم مما يؤدي إليه هذا الاخفاق من التمهيد للنجاح في المرات التالية .